« بصمة في قبة السماء »

عن قصة الشهيد

عبد الحميد محمد عبد الوهاب الماجد رحمه الله

بقلم

بقلم : ثريا البقصمي

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 1 12/23/12 9:19 AM

فهرسة

مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

813 البقصمي ، ثريا .

بصمة في قبة السماء / ثريا البقصمي . – ط**2** .– الكويت : مكتب الشهيد . **2013**

21 ص : **21** سم . – (بصمات في تاريخ الكويت)

ردمك : **978-99906-996-2-3**

1. القصة العربية – الكويت **2** – الشهيد عبدالحميد محمد الماجد أ. العنوان

ب . السلسلة

ردمك : **978-99906-996-2-3**

رقم الإيداع : **2010 / 119**

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 2 12/23/12 9:19 AM

إهـــــداء

إلى أرضي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير...

إلى من يستحق التضحية والعطاء...

« إلى الكويت »

مكتب الشهيد

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 3 12/23/12 9:19 AM

بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشعراً وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياسية والإجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

في مجموعتنا « **بصمات في تاريخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتل، وإرادة النصر على الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض. فعندما تحقق النصر وطُرد الغزاة حكت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثّقت معارك شرف وملاحم شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد
المدير العام لمكتب الشهيد
فاطمه أحمد الأمير

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 4 12/23/12 9:20 AM

« بصمة في قبة السماء »

عن قصة الشهيد / عبد الحميد محمد الماجد رحمه الله

بقلم : ثريا البقصمي

كان بسيطاً ، شفافاً كالماء ، روحه في رحابة سماء زرقاء وبحر أشد زرقة ، يكتنز محبة الناس في داخله ، وجهه مشحون بالفرح . لا تفارقه ابتسامته ، رجل بشوش شديد النخوة ، أقصى أمنياته أن يعين الآخرين في مصائبهم وشدائدهم ، إنه « عبد الحميد الماجد» من سكان منطقة الرميثية ، قطعة خمسة ، لن ينسوه فاسمه محفور في ذاكرتهم ، وكلما تحدثوا عنه حولته الكلمات إلى صورة حية ، لرجل تعدى الأربعين بسنوات ، مفتش كيبلات في وزارة المواصلات مقسم السالمية .

أمن وسلامة الناس كانتا من همومه اليومية النابعة من طبيعة عمله ، لكن في صباح الثاني من أغسطس ، غادر مبنى السنترال ولسان حاله يقول « سأعود إليك عندما نقضي على الصراصير النتنة التي زحفت علينا من الشمال »

شعور العصيان المدني ، الذي امتد إلى نفوس الكويتيين ، كان ردة فعل طبيعية لشعب تميز بعزة النفس ورفض أن يدوسه عدو محتل .

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 5 12/23/12 9:20 AM

عبد الحميد تصرف بعفوية كالآخرين ، قفل درج مكتبه ، وضع أشياءه الخاصة في حقيبة يدوية ، نظر إلى باب مبنى السنترال وهو يغادره قد أعود إليك خلال أيام أو بعد أشهر ، لا يوجد في داخلي أي حدس بما يخبئه القدر لنا ، ولكنني متيقن من أن الحرية ستعود للأرض التي أحببتها ، ولن أتخيل نفسي أعمل موظفاً تحت أمرة مدير أو رئيس عينته سلطة احتلت وطني .

في ذلك اليوم كان الهم في حجم سنام جمل يربض على ظهره، فكر بزوجته وأسرته الصغيرة ، ، إن وجودهم في منطقة (صباح السالم) أمر مثير للقلق ، ربما تطلب الأمر أن يتواجد خارج المنزل معظم الوقت وهو لا يتخيل نفسه مقرفصاً بجانب المذياع يلصق أذنه بسماعته يلتقط الأخبار والدنيا مقلوبة في الخارج ، وهناك من يحتاج إلى مساعدته . إن أي شيء يستطيع تقديمه .. ولو بدأ بجمع القمامة وانتهى بالوقوف أمام فرن يخبز فيه رغيفاً .. أي عمل مهما كان متواضعاً يعبر عن مقاومة وجهاد في وجه عدو نزق له ملف عريق في الإجرام وسفك الدماء .

قرر عبد الحميد أن ينقل أسرته إلى منطقة (الرميثية) ، حيث منزل والدته ، بعد أن يوصي جيرانه في منطقة « صباح السالم « بحراسة منزله ، وترك مصابيح سور المنزل مضاءة خلال الليل ، لإيهام لصوص الاحتلال بأن المنزل مسكون .

لم يكن عبد الحميد من فئة المتفرجين ، ولهذا ما أن استقرت أسرته في منطقة الرميثية حتى هرع إلى السوق المركزي وقدم خدماته إلى إدارتها ، وتولى توزيع المواد الغذائية التي تبرع بها التجار الكويتيون

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 6 12/23/12 9:20 AM

على المواطنين ، وكان بطبعه عادلاً ، ولهذا توخي تساوي الحصص ، فالناس يكفيهم ظلم عدو المحتل ، ولا يحتاجون إلى من يزيد من حجم هذا الظلم ، بإنقاص حصصهم في المؤن والطعام . وكان يزور الأسر التي لا معيل لها والتي تضم كبار السن والأطفال والنساء ، ليوفر عليهم عناء الذهاب إلى الجمعية ، والوقوف في طوابير طويلة ملتوية ، ويجلب إليهم ما يحتاجون إليه من مواد غذائية أساسية ، تعادلها أحلام البقاء ، والاستمرار في مواجهة رعاع ..

انتزعو البهجة ، والبسمة من نفوس الجميع .. عبد الحميد فقد جزءاً كبيراً من مرحه ، فعندما يعود مساء إلى منزله ، يضع يده على صدره ، ليجده متورماً بالغصة والقهر ، فأفعال جنود المحتل كانت تثير حيرته ويتساءل .. أي نوع من البشر هؤلاء ؟ إنهم يقتحمون مبنى الجمعية كالجراد تتلبسهم عقلية لصوصية ، وبغوغائيه شبوا عليها . يصادرون كل ما يقع تحت أيديهم ، حتى لو لم يكونوا في حاجة إليه .. كانوا يتجاوزون طوابير الخبز ، ويستولون على أرغفة الخبز الساخنة ، ويحرمون الناس من رغيفهم اليومي ، ربما كانوا يعتقدون أن تجويع الناس ، سيدفعهم للرضوخ والتعاون معهم . هذه التصرفات دفعت عبد الحميد ، إلى وضع الخطط مع زملائه في مجلس إدارة الجمعية ، مثل إخفاء المواد الغذائية وتوزيعها في السر ، وكذلك جُلبت الأفران الكهربائية إلى المنازل . ووزعت أكياس الطحين ، وبدأ الناس يخبزون في منازلهم ويطعمون جيرانهم . إن نشاط عبد الحميد وحنكته ، أثارت إعجاب الجميع ، وبخاصة سكان القطعة الخامسة من منطقة الرميثية . وبعد صلاة العشاء في مسجد المنطقة ، طلبوا منه أن يدير فرع الجمعية

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 7 12/23/12 9:20 AM

في قطعتهم .. هذا الاختيار أدخل السعادة في نفس عبد الحميد ورفع من معنوياته ، وكان فيه تقدير لجهوده . فعاهد نفسه أن يثبت لهم أنه في محل اختيارهم وثقتهم .

إن استمرار العصيان المدني ، كان له جوانب إيجابية في إثارة حنق العدو وتسلمه رسالة مفادها أن احتلال شعب وأرض ليست نزهة في الهواء الطلق ، ولكن الجانب السلبي فيها أن موارد الدخل تضاءلت بل شحت أو انعدمت السيولة بعد انعدام مصادر الرزق من رواتب شهرية ومكاسب تجارية .. وهنا بدأ دور المقاومة الكويتية لإلصاق الأرض بالسماء . وصنع المعجزات ، لضمان استمرار العصيان وعدم الاستسلام ، وبدأت النقود تتسرب بطرق خاصة من مصادر القيادة خارج الكويت ، وانضم عبد الحميد إلى المجموعة ، المكلفة بتوزيع النقود على الأسر المحتاجة ، التي كانت ترد أسماؤها وعدد أفرادها وعناوين منازلهم .

كانت المعضلة التي واجهتهم في أثناء عملية توزيع النقود ، أن معظم أرقام المنازل وأسماء الشوارع قد نزعت ، بهدف تضليل العدو ، الذي كانت لديه قائمة طويلة بأسماء المواطنين المشكوك في تعاونهم مع أفراد المقاومة الكويتية .

حرص عبد الحميد وزملاؤه على السرية التامة في عملية توزيع النقود ، وكان يوصي الأسر التي تتسلم المبالغ المخصصة لها بعدم الإفصاح عن مصدر النقود ، وبخاصة وأنه تم اعتقال بعض أفراد المقاومة .. والتهمة كانت توزيع مبالغ مهربة بهدف الإضرار بالاقتصاد الوطني.

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 8 12/23/12 9:20 AM

وبدأ العدو في تجنيد بعض النساء العراقيات اللواتي يجدن اللهجة الكويتية يقمن بطرق أبواب المنازل ، يدعون الفاقة بأنهم في حاجة إلى مساعدة ويدسون السم في العسل لإيقاع الناس الطيبين البسطاء والسذج في شراكهم « عيوني لدي كومة لحم في البيت وأفواه جائعة ، وزوجي كان مسافرا قبل الاحتلال ، ممكن إعطائي اسم ورقم تلفون الشخص الذي يوزع النقود على أهالي المنطقة . لأتصل به وأخذ حصتي وثوابك عند الله » وبهذه الجمل الناعمة تم تحذير الناس والحصول على معلومات أضرت بالعديد من المواطنين ، وقام أفراد المقاومة بإصدار تعليمات تحذيرية من خلال نشراتها السرية ، وخلقت بدائل لطرق توزيع النقود ، بل تم حث الناس على بيع الثياب المستعملة وقطع الأثاث والأجهزة الكهربائية في أسواق شعبية ، مثل سوق « هلا ومرحبا » التي نصبت في الباحات الترابية ، وألبست المدينة طابعاً همجياً ، بدائياً ، يتماشى مع حجم الفوضى التي كان الجميع يدور في دوامتها . فتحت التجارة العشوائية باباً جديداً للرزق ، وشارك عبد الحميد في جمع الثياب والكماليات من سكان الرميثية وتجنيد بعض الشبان لبيعها للجنود العراقيين ، وامتصاص النقود منهم ثم توزيعها على الأسر التي حولت ما هو مكدس في منازلهم نقود يواجهون بها أيام موغلة في التعاسة .

حديقة الموت :

عندما قام نظام العدو بسرقة شرعية وطن .. نثر على خريطته ألاف اللصوص المحترفين .. نهبوا كل ما يعترض طريقهم . وكما قال أحد رواد مسجد القطعة خمسة ، وهو الحاج « أبو محسن » إن أساليبهم

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 9 12/23/12 9:20 AM

في السرقة تفوق الخيال ، إنهم يسرقون الكحل من عين الصبية ووشم الحناء من كفوف العرائس ، لقد سرقوا أبواب ونوافذ المنازل حتى غدت بعضها أقرب لفم عجوز فقد طقم أسنانه !!

وبعد صلاة العشاء انتقد بعض أصدقاء عبد الحميد هجره لمنزله الأصلي في منطقة صباح السالم ، وقالوا إنه يجب عليه أن يعود إلى منزله أو يطلب من أحد أقاربه أن يسكنه .

لقد تصرف العديد من الناس بعفوية نابعة من حرصهم على ممتلكات أقاربهم بأن سكنوا بيوت الآخرين أو تفقدوها بين فترة وأخرى ، وبخاصة وأن الاحتلال وقع في شهر أغسطس حين يغادر معظم الناس إلى دول أخرى لقضاء إجازتهم الصيفية .

ماتت الحدائق من العطش ونزعت الأبواب والنوافذ بعد أن أفرغت المنازل من محتوياتها وشحنت في قوافل إلى العدو حيث أخبار الكعكة الكويتية التي قسمت ووزعت يسيل لها لعاب لصوص بغداد .

عاد عبد الحميد إلى منزله في منطقة صباح السالم ، وهو يعد أهل الرميثية بأنه لن يتوقف عن تقديم خدماته لهم .

عندما انهمكت زوجته في تنظيف منزلهم المهجور أطلقت صيحة مفاجاة وخرجت من أحد الغرف بوجه أصفر شاحب قادت زوجها عبد الحميد إلى الخزانة التي خبأت خلفها صناديق الذخيرة وبعض البنادق والأسلحة التي لم يسبق لزوجته أن رأت مثيلاتها . احتار عبد الحميد في كيفية التصرف بهذه الهدية التي تركها أحدهم في منزله .

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 10 12/23/12 9:20 AM

سيما وأنه لا يرغب فيها ، ولم يدرب على استخدامها ، لقد كان بارعاً في توزيع أكياس الطحين ، والأرز وعلب الحليب ، والنقود وأي شيء آخر يؤكل أو يستعمل .. لكن السلاح وحمله وإطلاق الرصاص هذه أمور كان بعيداً عنها . لقد كان يبتهج عندما يسمع قصصاً عن بطولات شباب المقاومة في اقتناص جنود العدو ، لكنه لم تكن في داخله تلك القدرة على إشهار السلاح في وجه أي مخلوق حتى لو كان عدواً جائراً .

لجأ عبد الحميد إلى خبرة شقيقه ماجد في تلك الأمور واستشاره بشأن الأسلحة المخبأة في منزله فاقترح عليه دفنها في الحديقة ، حيث من الصعب معرفة أصحابها ، وقد أخبرهم جار لهم أنه في بداية أيام الاحتلال ، شاهد مجموعة من الشباب ، يقفزون من فوق سور المنزل ليلا محملين ببعض الأكياس السوداء ، وأنهم دخلوا إلى المنزل عن طريق نافذة المطبخ ، وغادروه قبل الفجر بعد أن ألقوا بحمولتهم في مكان ما . تناقل سكان المنطقة القصص والإشاعات ، وأي أمر آخر يخفف من وطأة المحنة التي يدورون في رحاها ، وهم لا يجدون في الحكايات فجوات صغيرة تحمل لهم الأمل من خلف أسوار الرعب المعتمة .

وفي إحدى هذه القصص أن مجموعة من الشباب الطري العود ، والذي حولت المحنة عوده الأخضر اليانع إلى قسوة جذع سنديانة ، قاموا بإطلاق النار في اتجاه المخفر مما أثار الفزع في نفوس الجنود ، ثم لاذوا بالفرار ، لم تكن القصة مختلقة ، بل هي من صميم الواقع .. صبية صغار يثيرون الهلع في نفوس جنود محنكين مدججين بالسلاح متمرسين في القتال . في تلك الليلة التي وقعت فيها حادثة إطلاق النار

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 11 12/23/12 9:20 AM

كان عبد الحميد يجلس أمام باب منزله ، يتأمل المارة ، ويفكر فيما يخبىء له القدر في الأيام القادمة . ورأي صبية يتراكضون أمامه كأسراب حمام .

شعر بالفرح والبهجة لوجودهم ، ولمحاولتهم إقلاق راحة العدو . وبعدها بدقائق ، وقفت أمامه مجموعة من الغربان التي كانت تطارد الحمائم ، وجوههم محتقنة بالغضب ، سألوه : هل رأيتهم .. صبيتكم الجبناء يطلقون علينا النار ، ثم يفرون لو أنهم رجال لكانوا واجهونا بندقية مقابل بندقية ورصاصة مقابل رصاصة !!

أجابهم عبد الحميد ببرود : أنا جالس هنا منذ ما بعد صلاة المغرب لم أر سوى الصراصير تتراكض لتختبىء في البواليع « وأشار إلى بالوعة تقع مقابل باب منزله « أجابه أكثر الجنود عبوسا :

نحن نسألك عن الأولاد المجرمين .

وأنت تتحدث عن الصراصير إن مزاحك هذا قد يحولك إلى منخل لو أفرغنا كل هذا الرصاص في صدرك .

لهجته لم تعجب عبد الحميد ، والذي قرر بعدها أن يكون أكثر حذراً في التعامل مع العسكر ، وربما استهدفوه في الأيام القادمة . لقد تأمل مليا مربعات الأسمنت في حديقته التي تنام تحتها الأ سلحة والذخائر ، وقرر أن يغطيها بجرار فخارية زرعت فيها نباتات الزينة ، بعدها أطلق عبد الحميد على حديقته اسم « حديقة الموت « لأنهم لو اكتشفوا ما في جوفها فالإعدام أو التعذيب سيكون عقابه الأكيد إلى جانب حرق منزله وإلحاق الضرر بعائلته .

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 12 12/23/12 9:20 AM

توقعات عبد الحميد لم تخطىء فبعد أيام من حكاية الصراصير ، داهم الجنود منزله فجراً ، وجالوا وصالوا في أرجاء المنزل قلبوا الأرائك ونثروا الثياب ، وأطلوا في ثقوب الحائط ، وهم يرددون :

لا داعي للخوف هذا تفتيش اعتيادي إنه لسلامتكم فالأولاد الأشرار يقلقون راحتنا ويعرضون حياة المواطنين للخطر وربما يبلغ بهم الشر مبلغاً خطراً فيخفون الأسلحة بمنزلكم ، وتتورطون في أمر لا شأن لكم به ؟!!

تذكر عبد الحميد ما حدث قبل أسابيع وقصة اكتشاف زوجته للأسلحة المخبأة ، إنها فعلاً ورطة لا يد له فيها ، وصدق حدس هذا المجرم الذئب الذي يرتدي جلد النعاج ، فربما « الأولاد » كما يسميهم هم من خبأوا الأسلحة في منزله .

في ذلك اليوم لم تثر الحديقة اهتمامهم بل عبروها بسلام ، لم يخطر ببالهم إن ما يبحثون عنه رابض تحت أقدامهم هذا الحدث أثار الطمأنينة في نفسه . وشكر في أعماقه حكمة أخيه ماجد الذي وجد في الحديقة مكاناً مثالياً لإخفاء السلاح .

كان عبد الحميد يحب رصد حركة سكان المنطقة من خلال نافذة صالة المنزل المطلة على الشارع أو بالجلوس أمام باب منزله بعد عودته من المسجد .

وكان أكثر ما يبهجه منظر الحمائم البيضاء وهم يتراكضون بعد إنجازهم إحدى عملياتهم البطولية . وذات يوم ومن فتحة النافذة

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 13 12/23/12 9:20 AM

المشرعة رأى الصبية الذين لبسوا مسوح الرجال باكراً ، يزيحون غطاء فتحة المنهول ، ويلقون بداخله أسلحتهم ثم يفرون ، لتلحق بهم بعد دقائق سيارة عسكرية عراقية في بطنها جنود، أثار الصبية سعارهم وجنونهم .

توجه عبد الحميد إلى المسجد ، ليخبر بعض أفراد المقاومة من الشبان بأمر الأسلحة المخبأة في المنهول وبدورهم شكروه على تلك المعلومات القيمة ووعدوه بأنهم سيرسلون من يزيح الأسلحة ويخبئها أو يستخدمها.

مرت ثلاثة أيام وهو مستمر أمام النافذة يراقب فتحة المنهول ويردد لم يحضر أحد ، أشك في انهم خائفون هل هم ليسوا بحاجة إلى السلاح ؟!! هذا احتمال غير منطقي في مرحلة يحتاج فيها كل كويتي إلى رصاصة يسددها لضمائرهم التي داسوها ببساطير العسكر.

توجه عبد الحميد إلى المسجد من جديد يستفسر عن سبب التأخر في إزاحة الأسلحة من المنهول .. أجابوه بأن الوقت لم يتسع لإزالتها وبخاصة وأن المنطقة تغلي بالجنود ، واحتمال أن تكون المنازل الملاصقة للمنهول مراقبة . ولم يخطىء حدس رجال المقاومة ، فمنزل عبد الحميد ومنازل جيرانه كانت تنهش جميعاً ليل نهار بمناظير المراقبة التي سددت إليهم وهم غافلون.

المصيدة

غادر عبد الحميد منزله يتلبسه ضيق صدر نابع من عدم استجابة

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 14 12/23/12 9:20 AM

أفراد المقاومة لمطالبته بإزاحة الأسلحة من المنهول ، ودفعته برودة شهر ديسمبر إلى لف « بشته « الصوف حول جسده ، إن أكثر ما يخافه المرض والإصابة بنزلة برد ، إن حيويته وعافيته تضمنان له فرصة أكبر لخدمة الآخرين وهذا ليس بالوقت المناسب لأن يمرض ويصبح عالة على أحد . زوجته التي انشغلت في إعداد عجينة الخبز والأمور التموينية المنزلية .

أثار فزعها سماع صوت ركلات قوية صادرة من مدخل البيت ، وفي لحظات رأت مجموعة من العسكر ينتشرون في أرجاء المنزل تسبقهم غوغائيتهم ، يطلقون السباب والشتائم والأسئلة في نفس الوقت ، ويرددون « وين زوجك أين أخبات رجلك !! »

وقبل أن تجيبهم رأت أحدهم يصوب فوهة المسدس إلى صدغ ابنها محمد ويده العريضة الأخرى تقبض على ياقة « دشداشته » المشهد كان مروعاً كادت تنهار ، وهم يهددونها « أخبرينا أين زوجك وإلا أفرغنا الرصاص في جمجمته ؟ »

من خلال دموعها حلفت لهم بأن زوجها غادر المنزل منذ نصف ساعة ، وربما يكون في الجمعية أو المسجد .. انتشروا كالسحالي الخضراء في أرجاء المنزل ، احتلو كل ركن فيه ملؤا جيوبهم بكل ما طاب لهم ، فكل شيء مشاع لهم ولا قانون يحمي أحد وجلسوا على الأرائك في صالة المنزل ، وطلبوا من الزوجة أن ترد على المكالمات التلفونية التي ترد ، وإذا كان زوجها المتصل فعليها أن تخبره بالحضور الفوري من غير الإشارة إلى وجودهم !!

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 15 12/23/12 9:20 AM

الشقيقان عبد الله وعبد الوهاب .. عندما دخلا إلى منزل عبد الحميد وقد عادا من المسجد لأنهما كانا يقطنان بمنزل عبد الحميد ، داهمتهما من خلف الباب أيـاد عريضة سحبتهما إلى الـداخل حيث فوهات المسدسات تتحدث بلغة الموت . كثر عدد الرهائن ، وانضم إليهما بعد دقائق شقيقه ماجد ونسيبه ، فوضعهم الضابط أمـام خيارين إما الاتصال بعبد الحميد أو إفراغ الرصاص في رؤوس كل من في المنزل ، وحرقه وتدميره على من فيه !.

كان السباب والتهديد يخرج من فم الضابط مزبداً ومن عينيه يتطاير الشرار ، وكانت الزوجة أكثرهم رعباً لأنها كانت تعلم بأن الإنسان لا قيمة له عندهم .. أنهى عبد الحميد صلاة المغرب .. وفي الطريق إلى منزله داهمته مشاعر متناقضة هل هناك مفاجأة تنتظرني ؟

ما أن فتح باب المنزل حتى صدمته تلك الوجوه المتجهمة ، منظرهم وهم يحتلون بيته أطار صوابه ، لكنه لجم انفعاله وغضبه وسأل بهدوء « ما الذي حدث !! ما سبب تواجدكم في منزلي !!

فتشو سيارته ، بعثروا أوراقه ، ثم دفعوه إلى جوف الشاحنة العسكرية التي اقتادته إلى مخفر منطقة صباح السالم . وعندما سألهم شقيقه ماجد عن التهمه المنسوبة لأخيه أجابوه إنه عضو نشط في أعمال الشغب ، ويزود الصبية بالسلاح وجب أن يدلنا على مكان الأسلحة . عاد الجنود إلى المنزل يسوقون عبد الحميد أمامهم بعد أن اعترف بوجود الأسلحة المخبأة في المنهول .... في دقائق فتح الجنود أغطية معظم البواليع التي تقع في تلك القطعة ، لم يعثروا إلا على صراصير

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 16 12/23/12 9:20 AM

تتقافز وتتطاير أمامهم . ذلك الأمر أثار غضبهم وجنونهم لاعتقادهم بأن عبد الحميد يهزأ بهم ويتعمد الكذب عليهم وخداعهم .

في اليوم الثالث من اعتقاله قابل أخاه عبد الله وكان منهمكاً من أثر التعذيب ، لكنه استطاع بغمزة من عينه إيصال رسالة إلى أخيه ليكن أشد حذرا .. وفهم عبد الله سر الغمزة عندما وصل إلى بيت أخيه ووجد الحديقة مقلوبة رأساً على عقب ، وقد عثر الجنود على الحفرة التي خبأت فيها الأسلحة ، لكنهم لم يعثروا على الحفرة الأخرى التي خزن فيها الذهب والذخيرة ، والذهب كان عبارة عن مصاغ زوجته وبعض الساعات الثمينة.

عندها سأل الضابط عبد الله عن ذخيرة تلك الأسلحة التي عثروا عليها في الحفرة الأولى ، تذكر على الفور إشارة العين التي بعثها له شقيقه ، وهي حتماً تعني عدم إرشادهم إلى المخبىء الثاني ، واحترام عبد الله رغبة أخيه وأنكر بشدة وجود أي ذخيرة للسلاح المصادر ، وكذلك حاول أن يقنع الضابط بأن أخاه بريء من التهم المنسوبة إليه ، وأنه أخفى الأسلحة لكي لا تقع في يد من يسيء استخدامها .

الضابط لم تعجبه الأعذار المقدمة وتشدق بالقانون الذي يجب أن يحترم ، وأنه كان على المتهم أن يبلغ عن وجود الأسلحة ويسلمها لهم بدلاً إخفائها. وسقط من يدي عبد الله وهو يحاور الضابط في قضية منتهية ، ورصاصة الإعدام موجهة إلى صدغ أخيه عبد الحميد لقد أعدموا في أيام قلائل مئات من الكويتين بتهم تافهة .. منها مثلا تخزين الطعام في البيوت أو توزيع النقود أو حتى وجود أعلام وصور لشخصيات كويتية في منازلهم . فما بالك بتهمة مثل حيازة الأسلحة .

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 17 12/23/12 9:20 AM

في اليوم الخامس من اعتقال عبد الحميد جهزت زوجته بعض الملابس الدافئة التي تساعده على برودة الطقس في معتقله . وأعدت له بعض الأطعمة التي يحبها ، ولم تعلم المسكينة بأنها لا تتعامل مع بشر ، وأن الإنسانية في خصام دائم معهم . تسلم الضابط الملابس والطعام منها .. فرحت الزوجة لاعتقادها بأنها « إشارة دعوة للقاء بزوجه الحبيب ، ولكن الضابط الذي كان يحمل وجها معجوناً بمكر الثعالب قال :

« يا خالة تأكدي أن الملابس والطعام ستصل إلى زوجك الذي للأسف قد تأخرت في زيارته ، فقد نقل أمس إلى معتقل آخر حيث يجري التحقيق معه على أيدي متخصصين في الجرائم السياسية ضد أمن الوطن والمواطنين . أود أن أخدمك لكن للأسف هناك سرية تامة حول أماكن تواجد المعتقلين إلى أن تثبت براءتهم » .

أزاح غطاء قدر الطعام ، فتح خياشيمه وهو يشم الرائحة .. همهم الله رائحة طيبة يبدو أنك طاهية ماهرة يا بخت زوجك ؟!!

بين الشاهد والفقيد :

رحلة البحث عن عبد الحميد كانت أكثر من مضينة ، انتشر إخوانه وأصدقاؤه في كل مكان عرف أنه تحول لمعتقل للكويتيين « مجمع الوزارات » « المشاتل » « قصر نايف » مدارس بعض المناطق .. المخافر .. المستشفيات ، وكانت الإجابة دائماً هي :

« هذا الاسم لم يرد لدينا ربما يكون قد نقل إلى بغداد أو البصرة !! زوجته كانت تردد » أشك في أنهم أعدموه ، لأنهم يعدمون المعتقلين

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 18 12/23/12 9:20 AM

أمام أبواب بيوتهم وبحضور أهاليهم وهذا لم يحدث مع عبد الحميد ، حتماً إنه حي يرزق في غرفة مظلمة كئيبة ، كان الله في عونه وأعانه على تلك الشدة .

وقفت أمام نافذة تشبه تلك التي اعتاد زوجها أن يراقب منها االشارع ، وهي ترى الصبية يتراكضون يسبقهم فرحهم بتحرير أرض الكويت من السحالي الخضراء ، فرحتها كانت ناقصة لغياب « رجلها وأبو عيالها » لقد اختلطت دموع الفرح بالذكريات الحزينة ، لحظات اعتقال زوجها ، فوهة المسدس الموجه إلى رأس ابنها محمد ، العسكر مسلوبو الإنسانية وهم يصولون ويجولون في منزلها ،يدمرون ويسرقون ثم ينهون مسرحيتهم بعد أن غادرت منزلها خوفاً من بطشهم ، بحرق أثاثه ومحتوياته ، وكانت هذه أحد أساليبهم في معاقبة كل من يشكون في عدم ولائه لهم وقبوله بتواجدهم غير المشروع على أرض سليبة.

علقت في المستشفيات والسفارات ومراكز الصليب والهلال الأحمر قوائم بأسماء المفقودين والشهداء ولكن اسم عبد الحميد عبد الوهاب لم يظهر في أي منها .

وبعد تحرير الكويت وفي صباح يوم ٢٦ من مارس ١٩٩١ ، كان المشهد السائد رجال ونساء يدورون في دوامات البحث عن ذويهم ما بين شهيد وفقيد .

وأنشئت اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين ، التي كانت مهمتها مساعدة المواطنين في الحصول على معلومات حول المفقودين ، تخفف من حيرتهم .

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 19 12/23/12 9:20 AM

وفي بداية عام ١٩٩٢ عثر ماجد على صورة لأحد الشهداء فيها تقارب كبير لصورة شقيقة عبد الحميد ، حملها إلى مستشفى مبارك للتأكد منها وخاصة أن بعض الأطباء الكويتيين كانوا يعتنون بجثث الشهداء ، ولكن الأدلة لم تكن كافية لإثبات أن هذه الصورة للشهيد ، ولجأ إلى السيد « عبد الله الفيلكاوي » الذي كان يعمل في مقبرة الرقة خلال فترة الاحتلال وعرض عليه الصورة لكن الرجل أكد له بأن صاحب هذه الصورة لم يدفن في مقبرة الرقة .

وفي كل رحلة بحث كانت زوجته وأهله يعيشون الأمل واليأس معاً . إن كان قد استشهد .. فبالرغم من أنها نهاية حزينة لكنها تضع حداً للبحث والانتظار ، وإن كان أسيراً فليس عليهم سوى الدعاء للتعجيل في فك قيد أسره وعودته إليهم .

في شهر أبريل عام ١٩٩٢ علم أهله بما يسمى ببصمة الشهيد فهي المفتاح لباب الغموض الذي أغلق على مصير فقيدهم . لقد تطابقت بصمة عبد الحميد مع بصمة أحد الشهداء الذين أعدموا ضمن مجموعة معتقلين في ١٩٩١/١/١٥ ولم يتم التعرف على هوياتهم في تلك اللحظة ، لكن أحد الأطباء أخذ بصماتهم قبل دفنهم في حفرة جماعية في مقبرة الرقة .

وكان تقرير الوفاة الذي كتبه طبيب كويتي على عجالة « استشهد رمياً بالرصاص في الرأس بعد تعرضه لعمليات تعذيب وحشية »

كلما مرت تلك السحب الداكنة في سماء الكويت تجدها موشومة ببصمات الشهداء ، تتوقع أن تمطر السحب دموعاً لتغسل أحزان القلوب

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 20 12/23/12 9:20 AM

المثخنة بجراح الفراق . زوجة الشهيد عبد الحميد ظلت سنوات تتأمل قبة السماء الزرقاء من نافذتها المشرعة لتراها موشومة ببصمات الشهداء ، تحمل لها رنين ضحكات العزيز الذي رحل عن هذا العالم وهو يرتدي جلباب البطولة ويقلد صدره بأزهار الشهادة المعطرة .

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 21 12/23/12 9:20 AM

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 22 12/23/12 9:20 AM

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 23 12/23/12 9:20 AM

1□□□□ □□ □□□ □□□□□□ -4.indd 24 12/23/12 9:20 AM